

الفصل السادس

استقلال النفس

اما وقد اصبحت متمسكاً ، جلوداً ، في الظاهر من كيانك الخارجي ، واصبحت الزعازع التي تثور في نفسك خاضعة لتماسكك فلا يبدو منها اثر ، بقي ان تتعلم الآن ان تتماسك في داخلك ، في الباطن من حياتيك الفكرية. والعاطفية ، حتى لا يؤثر فيك مؤثر ، او يجري عليك نفوذ ، او تخضعك سلطة . واذ ذاك يحتفظ كيانك الاخلاقي في حضرة اي كان من الناس ، وفي اي جو او ظرف ، يهدوته ومنعته وثباته .

العزم على الاستقلال

الملاحظ ان الخبول يتأذى حين يجد ان توازنه الذهني والعصبي يختل من اثر المواقف التي يقفها منه الآخرون . فلا اقل من ان يشعر ان غيره يراقبه وهو منكب على عمله ليرتكب الاخطاء ويقع في الاغلاط . واذا سمع من يستهجن عواطفه وافكاره بدأ عليه الارتباك ، فهو يخشى النقد والمعارضة كما يخاف مجرد حضور الهازئين

اللاذعين او المغتاضين في مجلسه . وقد رأينا في فصل سابق ان افضل دواء لهذه الحال هو « الولوج بالاستقلال » .

قرر ان تكون مستقلاً في ذوقك ، في رأيك ، في حسك ، في تصرفك . واعزم عزمًا نهائياً على التخلص من كل سلطة تضايقتك في عملك وانتاجك وبنائك الفكري والنفسي والاجتماعي ، وابدأ في تنفيذ هذا القرار باتخاذ الخطوتين التاليتين :

١ - سجل مختلف الظروف التي شعرت اثناءها انك كنت متكلفاً ، مضطرباً ، منزعجاً ، منفعلًا على الرغم منك ، إذ عرفت من اعصابك بنفسك انها ساقطت الى الخضوع لغيرك .

٢ - سجل الفوائد التي نلتها ، في ماضيك ، من أثر المواقف التي كنت بها صلباً ، لا تلين ولا تخضع .

سجل كل هذه الاشياء والحوادث بضبط ودقة وجد ، وتوسع في تفصيلها . واذهب في اتمامها واكملها مع الزمن ، مع كل يوم ، حتى تطمئن الى انها انتهت . وارجع بعد ذلك الى قراءتها ، وأعد قراءتها ، فلامضي مدة قصيرة حتى تشعر ان طاقة روحية عظيمة اخذت تسري في كيانك النفسي ، تستعلن بعاطفة جديدة في وجدانك ، هي كراهية عنيفة لواقع ماضيك او للزمن الذي كنت تتأثر فيه بالآخرين وتخضع لهم ، يواكبها رغبة حارة عنيفة في التحرر والتسمر في الحرية النفسية الداخلية .

ثم ارجع الى خيالك لتعيش سلفاً لذائد الاستقلال واسبق

الاحوال والظروف بتصورها ، وتملّ من هذه النعم الخيالية التي
يناط بك تحقيقها ولا يعسر عليك تحقيقها ، وعندئذ تنفذ الى كل
مكان ، وكل محفل كثر رواده او قلدّوا ، وكأنك تدخل غرفة
خالية ، وتجد انك - في حضرة فلان الذي سبق لشخصيته ان ارهقتك
في ماضي الزمن - بارد ، مطمئن ، مرتاح ، وانك سيد نفسك .
إعزم على ان تتحرر ، تجد نفسك مستقلاً .

قيمة الصمت

ولكن هذا العزم على التحرر يقتضيك ، اول ما يقتضيك ، ان
تحدد اول هدف . والهدف الاول الذي يجب ان تتجه اليه ، بعد
مراس التأمل الذاتي ، ونشوء الجهد العملي في نفسك على التأمل
والايحاء الذاتي ، هو مقاومة كل إغراء في الكلام !

ذلك بان الصمت يولد الحزم والصلابة . فاذا اتفق لك ان
عشت نحواً من عشرة ايام منفرداً وحيداً ، صامتاً ، ورجعت الى
ذكرياتك النفسية خلالها ، وجدت ان الصمت في الاعتكاف جعلك
امضى عزيمةً من ذي قبل .

والواقع ان الصمت الارادي المحض في المجالس والأندية ،
اي وسط الناس وفي جو الاغواء للتكلم ، والاغراء على الاشتراك
في الاحاديث ، أياً كان نوعها ، يرد الانسان اقوى مما هو على تحقيق
الاستقلال والحرية النفسية ! وان من يعيش وسط عدد وافر من الناس
والخُلطاء والاصحاب دوماً ، يشبه ، أن يكون عيشه هذا ، ضرباً
من الايحاء الدائم ، الذي ينزع الى معارضتنا في وجهات نظرنا ، في

عواطفنا، في مشروعاتنا ، في تقديراتنا ، ويمنعنا من مسارة آرائنا،
والتعليق على حوادث الساعة واحداثها ، ليفرض علينا نفسه بما فيه
من تفاهة وقصور اغلب الاحيان .

هنا ، لا معدى لك عن متاومة ذلك الاجاء وهذا الفرض ،
بارادتك ، بمجرد ارادتك . احتفظ بالصمت ، تسجل خطوة حاسمة
نحو الاستقلال الداخلي . والصمت ، في جوهره ، بما لا يكرهه ولا
يطيقه ، غير عدد ضئيل من « الخنفساريين » و « الخنفساريات »
الذين لا يجدون في فكرهم وحده ما يلذهم او يرتاحون اليه ،
فتراهم يثرثرون ويحاولون ان يحملوك معهم على . مشاركتهم في
الثرثرة .

غير ان هناك نفراً ممن يسكتون عمداً عن خوف من انفسهم ،
فهم يخشون ان يظهروا اغبياء او غير لائقين ، فلا بد من حس
مرهف ، وفهم نافذ ، للتمييز بين ساكت وساكت ، وسكوت
وسكوت .

والقاعدة هي ان يسكت المرء خلال قيامه بعمله ، على ان
يستعمل بياناً عذبا ، طلقاً في معاملاته ، ولكن حازماً في الوقت
نفسه . وما خرج على اوقات العمل ، اي في الضرورات الطبيعية
التي تقتضي صاحبها عدة اجتماعات ، يمكن ان ينسحب المرء من
الرغبة في الكلام متوسلاً الى ذلك بفتح بابيه للآخرين وإيلائهم
الاصفاء التام . والاصفاء يكون في اظهار الاستحسان بمهارة ،
او القاء اسئلة موزونة قيمة . واذا حدثت ، فتحدث الى الناس عن

الفسهم ، واجتذبتهم الى عرض افكارهم وآرائهم ، والاسترسال في الموضوع الذي يلذ لهم . وبذلك لا تخون افكارك في شيء ، لانك لم تتلفظ إلا بكلمات لا معنى لها ولا قيمة ، ومحسبك الناس ، لما أبديت من إصغاء وانتباه وسمت ، إنساناً رفيع الخلق ، سامي الطباع ، حاو الشمايل .

وهكذا ... يقل تأثير الناس ونفوذهم عليك بسرعة عجيبة حين تلتزم الصمت المطلق فاعادة في معاشرتك اياهم في أغلب الاحوال والظروف ، وتلمس بعد قليل من الزمن انك لا تتأثر بانسان كائناً من كان . وانك اصبحت في مستوى من الاستقلال النفسي يعينك على قول « لا » ، على الرفض بلطف ، دون شروح وتفسيرات ودون ان تعلم لماذا تفضل الرفض !

ثم هكذا ... تتحرر من كل أثر للصلف او الهزء الذي ينالك او يحيط منك ويتحول تأثيرهما شبيهاً بضجة عابرة ترتفع من مكان لا تعرفه ، ولا يهتك ان تعرفه ، لانك لا تبالي بالضجة من اساسها ، اي ان هدوءك وصفاء ذهنك ومجرى افكارك كلها ، تخلص من تأثيرات محيطك . وبذلك تفتح استقلالك وتحققه . ثم تشعر الى ذلك ، بازدياد جرأتك يوماً عن يوم ، حين تدعى الى الكلام بموضوع يفيد ، فلا تردد في ان تطلب الشروح حين تحتاج اليها ، ولا ان تعطي ملاحظاتك ، ولا ان تخوض اي معركة جدلية مهما كانت الملايسات والنتائج .

اكتتم قواراتك

لا يستطيع امرؤ ان يكون مستقلاً من وجهة اخلاقية اذا لم يكن قادراً على كتمان قراراته ، وكتمان الوسائل التي ينوي اتخاذها لتنفيذ ما يقرر !

عول إذن على نفسك في تفهم الاعتبارات والظروف والمناسبات التي ينتهي اليها تنفيذ ما تنوي تنفيذه ، جامعاً للتفاصيل كلها من ألفها الى يائها . فالأكيد ان قصور الفكر يسوق القاصر الى التأثير بآراء غيره ، ويدفعه الى انتخاب حل يرضى عنه الآخرون ، ولا يد له فيه ، ولا في وضعه ، وذلك بما يفضي به الى العبودية ، ويجعله في المستقبل ريشة طائرة في مهب الرياح الاجتماعية . هذا يعني ان الكتمان نفسه مظهر داخلي من مظاهر استقلال النفس ، ولكنه في الوقت نفسه وسيلة من وسائل الاستقلال ، فهو ، لما ينطوي عليه من قوة ، وسيلة وغاية في آن واحد .

جاء في الحديث النبوي : « استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان » فاذا انت نظرت الى من حولك من الضعاف القاصرين ، وتمليت من سيرتهم ، وجدت واحدهم يلوب حين يقع في مشكلة ، او يواجه صعوبة ، ويلوب متنقلاً من شخص لآخر ، يعرض ما جرى له ، ويسرد على الآخرين ما يشغل باله ، ويعظم في عيونهم بلواه طوراً بحجة المشورة ، وطوراً بحجة الشكوى الى من يؤأسيه ، إلخ ... ولكنه يقع آخر الامر فيما يزيد عذابه ، ولا يفرج كربه . إياك ، وانت تريد الاستقلال ، ان تقع في مثل هذه الورطة

او تنتطح بهذه الصخرة ! عليك ان تستوحي نفسك وظروفك وحياتك وممكناتك عوضاً عن ان تستنزل معونة من اذا اسداها اليك ، أشعرك انه يتصدق عليك ، فتخسر بذلك حريرتك وكرامتك .

على انك مضطر ، حبال الحقيقة ، الى الاعتراف بما تجبهه ، والاقرار امام نفسك بما تحتاج اليه من معرفة ومساعدة ومشورة . واذ ذاك ، عليك ان تنفرد جانباً وتفكر في افضل جانب تستشير ، وافضل جانب تطلب اليه مساعدتك ، وافضل جانب يعرف من الامور اكثر مما تعرف ، حتى اذا انتهيت الى قرارات نهائية ارجع الى الحكمة في تنفيذها ، وطرائق تنفيذها ، دون ان تعلم احداً بآخر ما يجول في خفايا ضميرك .

ثم لا بد من الاشارة الى ان استقلال النفس يفرض عليك ان لا تترك مصيرك في يد القدر ، فانت مدعو الى السير نحو هدف واضح ، الى معرفة ما تريد ان تحصل ، والى ادراك النقطة التي تود بلوغها . كيف تنتخب ؟ وكيف تقرر ؟

امامك طريق وعرة شائكة : ان تتعلم بنفسك وان تلاحظ نفسك وتراقبها ، بغية معرفتها . ثم ان تنظر بعين الجسد ممكناتك البدنية ، ومستواك العقلي ، وميزاتك الفائقة واستعداداتك الفطرية ، واخيراً الظروف الملائمة للعمل . وبذلك ، تدرس القرارات الاساسية الهامة الى ان تنضج في نفسك ، وتندفع في ضوئها لحوض معركة الحياة ، حتى اذا واثت الفرصة اغتنتمها

وان عرضت مشكلة حالتها دون ان يعرف بك احد .

غير ان لكل ظرف ، لأي ظرف ، فرصة تفضل غيرها
لاغتنامها ، فلا تنتظر ان يكشفها لك الآخرون . اجث عنها
بنفسك وعندما تعتقد انك عثرت عليها ، فانتبهزها دون أدنى
اهتمام بتقديرات الناس من حولك . ولن يقدح في تقديرك الشخصي
ان تحقق وان تحظى ، فان التجربة الخفيفة تضيء امامك السبل
وترشدك إلى الرأي في احكامك نفسها .

ان الذين حاولوا ان يطيروا باكرأ وخدمهم بأجنحتهم ، وان
يقرروا من انفسهم بانفسهم ، لم يكونوا يوماً من الايام أولي خجل
ولا من التافهين القاصرين !

هل كان هؤلاء ان يخضعوا لغيرهم ؟ لا ... وإنما مشوا
بخطوات ثابتة ، وكانوا ينظرون الى أي كان وجهاً لوجه ، بهدوء
وبرود .

اقتد بهؤلاء الافـذاذ النابغين ، و « خذ علماً » بجميع الآراء
وافحصها وفق نهج واضح ، ولكن لا تأخذ ، في آخر مرحلة ، الا
برأيك ومنهجك .

انت والرأي العام

تحدثنا فيما مضى من فصول ، عن الخوف الذي يخالج الانسان
من الظهور بمظهر لا يريده ، او ان لا يظهر بمظهر يريده .

هذا الخوف هو منشأ ٨٠ بالمئة من آلام الخجول . بيد ان

الاشخاص الذين لم تعر كهم الايام، ولم تنضجهم التجارب، او الذين لم يتمرسوا بالثقافة النفسية قمرساً كافياً، يعلقون بصورة عامة، اهمية كبرى على الاثر الذي يتوههون انهم يحدثونه في نفوس الآخرين، او على الراي الذي يحسبون انهم يكوّنونه عن أنفسهم عند الآخرين، فهم يجهدون في ان يظهرُوا وان يُعرفُوا، ولا يباليون إلا أن يظهرُوا ويشتهروا .

اما الخجول، فان هذا الاستعداد، اي حب الظهور والشهرة، يتمثل عنده بما يشبه المرض، لانه يبالح في تعداد نقائصه ويتكلف التواضع تكلفاً بشعاً، فتراه يبحث بقلق عن وسيلة يرضي بها غيره ويجذب اليه احترام عارفيه وابناء محيطه، حتى ليرتجف حين تساوره فكرة عدم احترامهم اياه . وهذا يعني ان راحة اعصابه وصفاء ذهنه يتعلنان به، ولا دخل للآخرين بها !

غير ان الخجولين يكونون غالباً من ذوي الذكاء والامعية، تبعاً لما هم عليه من رهاقة الحس والفطنة. فلا بد لهم من ان يدركوا، حين يُعملون فكرهم، ان المهم ليس ان يظهرُوا او يشتهروا، وانما المهم ان يحققوا نفوسهم، وان يتحققوا فعلاً، لا أن يظهرُوا قولاً او يحكى عنهم دعاوة وتضايلا . ولا بد ان يدركوا ايضاً ان القيمة، والاستعداد، والنبوغ، والتفوق، اشياء واقعية، صامته، لا تهتم بالاستحسان وانها لا بد لما انت تفرض نفسها على الرغم من العرقلات والعقبات، ان لم يكن عاجلاً فأجلاً... والحقيقة لا تحتاج الى من يرافع عنها ويحمي قذيتها، وانما تشق

طريقها الى القلوب والضائر، ولا يعوقها عائق في الارض ولا في السماء .

ليس لي اذن الا ان انصح قرائي ممن يتوقنون الى الاستقلال النفسي، بالاقلاع عن نشدان الاستحسان ونبذ الاهتمام بالرأي العام والانتقاع عن انفاق اي جهد فكري في سبيل رضى الجماهير وكسب عطفها . فليهمل القاريء ، ايا كان ، على تحصيل طمأنينته ورضاه عن نفسه ، لينال هذه الطمأنينة بجدارة واستحقاق، حتى اذا بلغ هذا المستوى اصبح غير مكترث بما يوجه اليه من لوم او هزاء او ينصب عليه من تهكم واضطهاد .

حلل نفسك من غير محاباة او مواربة . أو ردّد هذه الأسئلة عليها :

— ماذا أعرف ؟ ثم ضع لائحة بالاسئلة عن المعلومات التي تحيط بها ، واذكر مستوى معرفتك بكل علم تلم به . هل لك في فرع خاص من فروع المعرفة كفاءة معينة ؟ ماذا يعوزك لتبلغ المستوى الفائق الذي يجعل اختصاصك تاماً كاملاً لا جدال فيه .

ثم : ما أنا ؟ قدر بناءك الصحي حق قدره ، واحكم حكما موضوعياً على نشاطك وفعاليتك وكفاءتك في العمل والانتاج المادي والفكري .

لا تخف من مواجهة نقائصك وعيوبك ، فهذه المواجهة افضل ما لديك للتخلص من العيوب والنقائص . انها شرط اساسي للسير في معراج الكمال ، واحذر ان تضخمها او تبالغ في تقديرها اياها .

قم بين وقت وآخر بزيارة لمساكنك العقلية والنفسية : الانتباه ،
الذاكرة ، القريحة ، المحاكاة ، الخيال ، إمكانات الهضم للأفكار
وتمثيلها ، الشجاعة ، المضاء والعزم ، الخ ...

ان امتحاناً دقيقاً ، واعياً ، نزيهاً ، كهذا تمحّن به نفسك بين
وقت وآخر يفضي بك الى إنعاش حياتك الداخلية وتركيز
أفكارك حول نفسك ، وهذا مما يقلل من اهتمامك بالرأي العام الخارجي ،
ويجعلك واعياً واثقاً من هذه الحقيقة ، وهي أنه لا فائدة من أن
يمدحك الناس بما ليس فيك ، ولا جدوى في نيل تقدير لا تستحقه ،
بينما لا خير عليك في أن تكون ذا قيمة حقيقية مبدعة خلاقة لا
يلبسها الآخرون أو لا يحملون عنك وعنها فكرة صحيحة .

يجب أن تهتم ، أول ما تهتم ، لا في أن تظهر ، بل في أن تقدر !
واليك السبيل إلى تركيز أفكارك حول هذا المعنى :

- ١ - تعلم أن تحاكم نفسك وتسيطر عليها .
- ٢ - تفهم واحفظ كل مبدأ علمي أو غير علمي ، بسرعة
وضبط .
- ٣ - تذكر بدقة ، لدى كل مناسبة ، في الوقت اللازم .
- ٤ - تعلم أن تتوى على تثبيت انتباهك ، وحصره وتقيده
حول أي موضوع ، دون قمل أو سأم أو انصراف عنه .
- ٥ - فكر بوضوح .
- ٦ - أحكم أحكامك على نهج وفي نفاذ وصفاء .

- ٧ - قاوم الاغراءات والتأثيرات الخارجية .
- ٨ - تغلب على انطباعاتك الشخصية .
- ٩ - كن سيد انفعالاتك وحساسيتك وعواطفك .
- ١٠ - ابحث عن الكيفية او الحيلة المشروعة التي توصلك الى نتيجة ، الى تحقيق مشروع ، الى حل مشكلة : هذا ما يسمونه الابتكار .
- ١١ - قف صامداً امام كل عادة مضرّة ، او يمكن ان تضر .
- ١٢ - عامل الآخرين بهدوء وثقة وحذر .
- ١٣ - تابع ما تريد ، واسهر على تنفيذ ما قررت ، وتطبيق ما تبنيته من قواعد صحيحة رغم العقبات .
- ١٤ - عبر عن افكارك ببيان واضح ، وكلمات فصيحة قوية ثابتة ، ذات صفة إيجابية تأكيدية .
- ١٥ - لا تندفع ، واضبط اندفاعاتك .
- ١٦ - تكيف بسرعة وفق حالة جديدة ، وتمثل في أقل وقت ممكن ، تنفيذ عمل معين .
- ١٧ - قوِّ نفسك بنفسك واعتمد عليها .
- ١٨ - املك نفسك وسُدّها سيادة مطلقة في حضور الآخرين .
- ١٩ - ما لك وللآخرين في شأن هو شأنك .
- ٢٠ - ثبتت اقدامك .

تقوية الحزم

إذا امتحنت نفسك وفق ما ذكرنا ، وطبقت القواعد التي اوضحنا ، خالجت فور الفحص والتطبيق ضرب من الشعور بالشدة والحزم في حضرة أي كان ، وفي أي محفل كان . وإذا كان يهدأ في قراراتك كل اندفاع للكلام او العمل بغية إظهار مقدراتك وتفوقك ، فلا يظهر عليك شيء من ذلك ابداً ، دون ان تقاوم في نفسك الرغبة او الاندفاع ، او تظهر عليك المقاومة . فأنت فعلاً ماديء غير مندفع . وذلك بما تتم عنه نظراتك ، وموقفك وملامح وجهك ويدعو الآخرين الى احترامك . ففعاليتك تجعل قيمتك حقيقة واقعية بالنتائج والآثار التي تصدر عنها .

ذلك لأن اهتمام الانسان بالوقائع وحدها دون غيرها، يجعله لا يؤخذ بالأوهام والحرافات والأخاليل . فاذا وقع بصره على النظر الشزر ، واحطكت مسامحه بكلمات النقد ، وتعرض للزرايات والادعاءات ، وشاهد التكبر عليه، والحيلاء من غيره ، أصبح تأثير هذه الأشياء والمظاهر في نفسه ضرباً من الدخان .

والحزم يقوى بمراقبة الذات التي تستهدف حون الذهن في حالة من الهدوء والاستغراق واليقظة ، كما انه يقوى بكل جهد يُبذل للمطابقة بين القرار والتنفيذ. ففي كل مرة تقرر خطأً للسلوك ، او مبدأً للاتباع ، او مشروعاً للتحقيق وتأخذ بموجبات قراراتك أخذاً عملياً دائماً ناشطاً ، يشتد بك خالق الحزم .

واليك هذه الاجاءات الذاتية التي وضعها احد الباحثين

النفسيين ، وأفاد منها جميع الطلاب في العلوم النفسية :

- ١ - أنا سيد عمالي التي أقوم بها .
- ٢ - لن أكون ابداً مرتبكاً او متهيّباً .
- ٣ - لن اعطي الغضب قيادي ابداً ، ولن احتفظ بما يغيظني .
- ٤ - لن أتخذ قراراً ما على عجل .
- ٥ - لن أندم على قرار اتخذته .
- ٦ - ستكون قراراتي جذرية ، ولن أقوم بنصف العمل وأرجيء نصفه الباقي .

٧ - لن أعمل ابداً ما يخالف حكمي الخاص .

هذه المبادئ الأساسية تظل دوماً فائقة قيّمة . فاذا كررها المرء في كيانه ونفسه وخميره ، لا بلسانه فحسب ، تسمرت ، مع الزمن ، في طباعه وطبعت سيرته الخاصة والعامة ، واتخذت فعل القانون او الشريعة .

ونشير اخيراً الى ان في استطاعة كل امرئ ان يضع مثل هذه « الايجاءات » لنفسه ، وفق حياته وظروفها في مختلف المراحل والحالات .

الدور الفعال

ما زلت الى يومك هذا متأثراً الى حد ما ، طال او قصر بآراء الناس وأعمال الناس وفلسفات الناس ! فكر الآن ، شرط ان تكون قد طبقت القواعد التي أرضتكم وأعجبتمكم بما مرّ ، بتنمية

نفوذك الشخصي الخاص . فان نية التنفيذ والعزم على تحصيل النفوذ على الآخرين ، يشكلان دراه ناجماً في مقاومة الشجبل .

إرجع ، اول ما ترجع ، الى الایحاء الذاتي في ان قرن إرادتك ، كأن تأخذ بتطبيق الارشادات والنصائح التي أوردناها في هذا الفصل ، وبعد ذلك تجد ان مواقفك ونظراتك وكلماتك اتجهت في طريق لا حب ، مؤثر بمدك يوماً عن يوم بالسلطة والنفوذ .

ثم اعتمد الصمت قاعدة في علاقاتك بغيرك ، تجد ان مخاطبتك الذي يتكلم بنزارة ، والذي فسحت له في المجال للتحدث عن قيمته ومواهبه الحقيقية التي يبالح فيها ، أنه اصبح قيد سلطتك ، هو يشعر تجاهك ، على غير وعي منه ، بانجذاب يدنيه منك ، ويشده اليك بدافع منه للحصول على إعجابك .

ذلك لانك حين تراقب نفسك ، وتحفظ كل التعفظ في كلماتك ، في آرائك ، في اهدافك ، في بيان وجهة نظرك ترفق دفعة واحدة الى قلب الموقف رأساً على عقب ، فقد كنت انت في الماضي من يخضع على غير وعي منه ، لاجتذاب هؤلاء واولئك من الناس . اما الآن فهم الذين يخضعون لسطوتك النفسية الناشئة عن سلطانك على نفسك .

واخيراً ، تأمل ، وانت الصامت ، اولئك الذين يحيطون بك ، فان « الصمت » الذي يُغلّفك ، بالاضافة الى الانتباه الذي توليهم اياه ، يحملهم على اظهار مختلف الجهات من طباعهم ، فتتوصل من اقرب السبل الى معرفة طبع كل منهم وميوله ونقاط الضعف فيه

وعيوبه، دون ان يبدو عليك انك لحظت شيئاً. اما هم فلن يعرفوا من شخصيتك غير الهدوء والتحفظ والحشمة والحزم . ويصبح في امكانك بعد ذلك ان تهيمن عليهم لانك، وقد عرفتهم معرفة عميقة، تحسن كيف « تصرفهم » حين تريد ان تؤثر في مجرى افكارهم وتحوّر مقرراتهم .

الارادة

ليس ثمة من شك ان لكل امرئ طبيعة، او فطرة فطر عليها، فهو اما جريء واما خجول .

بيد ان التجربة الانسانية الشاملة ارتنا، خلال التاريخ، ان الانسان يستطيع ان يتغلب على نقاط الضعف في طبيعته حين يريد، ويعزم ان يريد، ويتابع ما يريد .

لا ريب أن هنالك صعوبة نجدها اول الامر، ويزيد في اظهارها انها « صعوبة » حدائة السن وقلة التجارب، وبعد النتيجة . ثم يمدها بالقوة والتأثير ما نشاهده يوميا من ابتعاد الناس عنها، وتجنبهم لبذل الجهد، حتى ليعسر عليك ان تؤمن بالارادة او لتحسب ان من يؤمن بها رجل ناعس بائس .

دعك من هذه الاوهام والخرافات التي تحل ارادتك وتقوض صرح ايمانك، ولا تثق الا بتجربتك الخاصة .

إجتهد في أن يطابق سلوكك ما مر بك من قواعده، مطابقة دقيقة كاملة، لا تلبث ان تلمس وراء الستار المنفر البشع المؤلم الذي يججب الجهد اللازم للسيطرة على النفس - تلمس هناك جاذبيه

قوية لدرجة لا تملك معها أن تتركها طوعاً بعد ان أغويتها كرهاً .
إبقي اذن مصمماً على تحصيل درجة من القوة والثبات أعلى من
الوسط ، وستصل اليها حتماً .

لا جرم انك ستتمر بشيء من التعب أو السأم اول الامر ،
وهذا التعب يرجع الى انك لم تتعود مراقبة نفسك ، فلا تحسبته
ناشئاً عن خآلة استعدادك للمتابعة والمثابرة ، وانما هو طارئ
مؤقت ، إذن لن تمضي عليك ايام للراحة قليلة ، حتى تسير الى
الامام ...

لا تضع ابدأً الممكنات الجديدة التي تفيد منها ، عندما تبلغ في
داخلك حالة من الصلابة عظيمة . فهذا مما يشد عزيمتك ويزيد في
طاقتك ، وتصبح قادراً على اغتنام الفرص وإيجادها واستثمارها أياً
كان مكانك ، ومحيطك ، وأية كانت مهنتك واستعداداتك .

وقد يحظر ببالك ان تقارن صلابتك الداخلية بصلابة غيرك ممن
تحسبهم لا يبذلون اي جهد ليكونوا جريئين اقوياء . لا تحسد هم .
ولا تغبطهم لأن المنعة النفسية التي يحصل عليها الانسان من نفسه
لنفسه بما يبذل من جهد ، او يُشغل من ارادة ، تحتفظ دوماً
بمستوى من الذوق والأناة لا يرقى اليه ذوو الفطرة الجريئة . بل
ان العكس اقرب الى الواقع ، أي ان اصحاب الفطرة معرضون
للآفات التي تشل حيويتهم وصلابتهم ، بينما اولئك يصبحون ، بعد
ان يروا بجميع التجارب ، ذوي صلابة قاهرة ، هائلة ، تتهاوى على
اعقابها الامجاد والزعامات .